جريدة مركز والي
عدد 02
22 أكتوبر 2011

مركز طارق والي
للعمارة والتراث

المجتمع ...والعمران

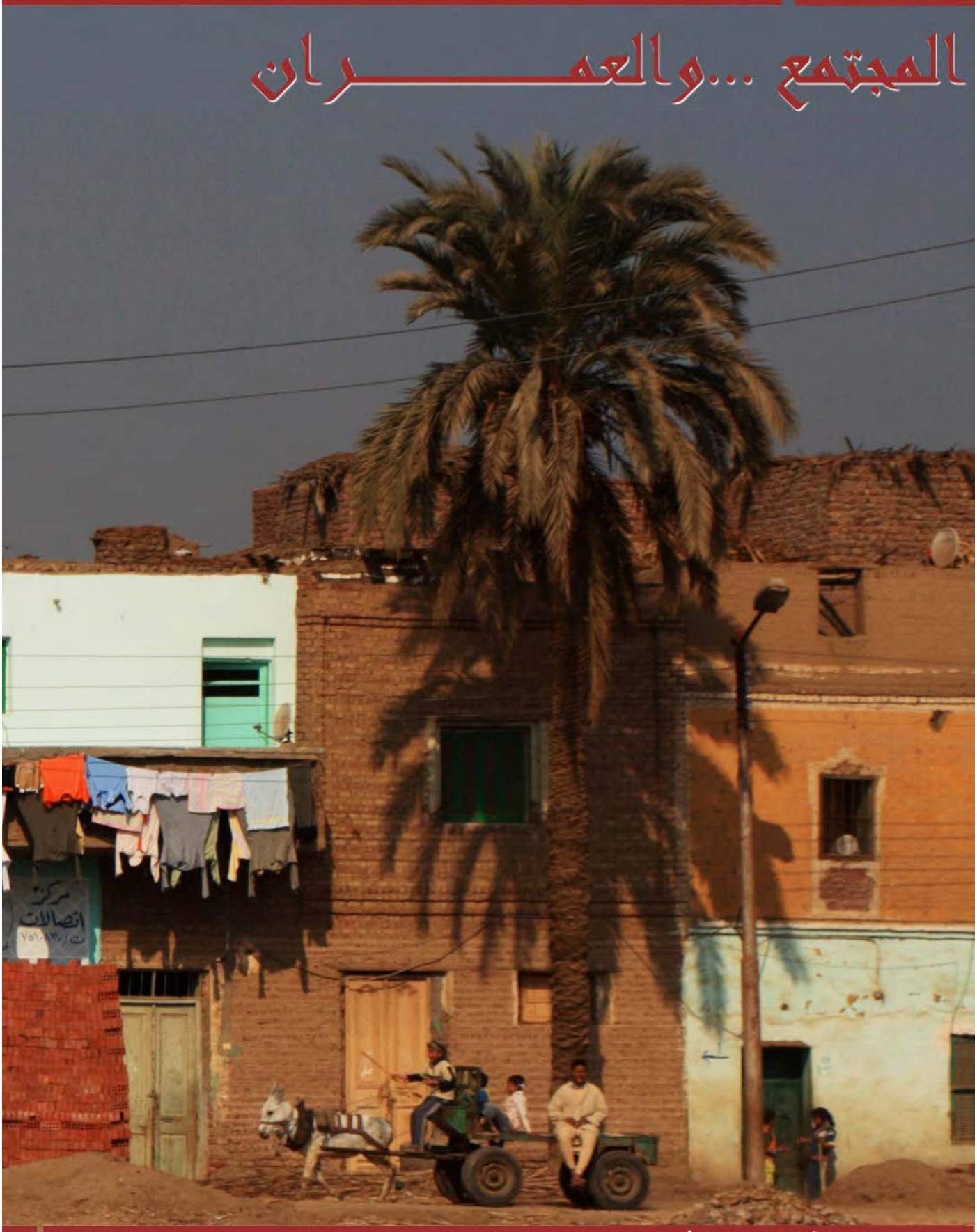

جريدة مركز والي
عدد 02
22 أكتوبر 2011

العدد الثانى: المجتمع والعمران

يصدر مركز طارق والى , العمارة والتراث جريدة ثلاث مرات سنويا .

لكل عدد من اعداد الجريدة محور عام تدور في فلكه موضوعاتها .

وتتعلق تلك المحاور غالبا بالعمران او بأي من إهتمامات المركز .

فريق الإعداد:

يحيى شوكت

شيماء شاهين

أمنية خليل

محمد علاء

صورة الغلاف :

قرية الأشمونين , المنيا , يناير ٢٠١١

يحيى شوكت

صورة المحتويات :

القاهرة , فبراير ٢٠١١

تامر شاهين

أخبار المركز

قسم الأبحاث العمرانية

تم إضافة «الأبحاث العمرانية» كنشاط مستقل يقوم به المركز ويقدمه كأحد خدماته فى مجال العمران.

يرتكز «الأبحاث العمرانية» على خبرة أكثر من ثلاثين عام فى مجال العمران والعمارة والتخطيط حيث أصدرنا العديد من الكتب والمقالات وحاضرنا فى مؤسسات عدة.

كما أن للمركز تجارب مع هيئات حكومية عدة منها المجلس الأعلى للآثار ووزارة الثقافة ووزارة الإسكان وصندوق تطوير المناطق العشوائية.

كما تعامل مع الحكومات المحلية كمحافظة القاهرة ومحافظة البحر الأحمر وهيئات دولية مثل اليونسكو.

الأبحاث تنقسم إلى أبحاث عن التراث العمرانى وتأخذ بعد التحليل التاريخى للعمران، وأبحاث عن العمران المعاصر التى تناقش التحديات الحالية للعمران المصرى. ويمكن الاطلاع على بعض الابحاث التي سبق وقام بها المركز من خلال موقعنا الاليكتروني على :
http://www.walycenter.org/

العنوان البريدى

نود أن ننبه بأن عنوان المراسلات البريدية أصبح نفس عنوان المركز ويمكنكم إرسال المراسلات البريدية إلى عنوان المركز.

Creative Commons BY NC ND

الحقوق محفوظة لـ :

مركز طارق والي العمارة والتراث
وحدة ١١ ، قرية الفخارين بشارع قصر الشمع
مصر القديمة ، القاهرة ، مصر.
٠٠٢٠٢ -٢٥٣٢٧١٧٨
info@walycenter.org

جريدة مركز والى
عدد . 02
22 أكتوبر 2011

المحتويات

المجتمع والعمران ..ومسألة الهوية — شيماء شاهين — ٠٢
عمارة بدون معماريين — أمنية خليل — ٠٥
عمارة الارصفة ليست فقط عمارة تلقائية — يحيى شوكت — ١٠
مشروع الكنوز الخفية — أمنية خليل — ١٢
مجتمعات وتحديات — محمد علاء — ١٨
قراءة في كتاب " النظرية العمرانية في العبر الخلدونية " — شيماء شاهين — ٢٣

جريدة مركز والي
عدد . 02
22 أكتوبر 2011
مركز طارق والي للعمارة والتراث

المجتمع والعمران ومسألة الهوية

كتابة: شيماء شاهين
تصوير: تامر شاهين

من أهم الإشكاليات المطروحة على ساحة الفكر الاجتماعي والعمراني المعاصر هي إشكالية الهوية ..

و ذلك لأن العمران هو مرآة المجتمع ، والعمارة بل والعمران بأكمله في علاقة تأثير وتأثر بصورة تبادلية عميقة مع المجتمع الذي يولد من أجله ويعيش داخله .. ينشأ في الاصل بناءا على احتياجات المجتمع ومتطلباته المادية والفكرية والمعنوية .. ويعبر في مضمونه عن ثقافته وتطلعاته وأحلامه. ويتأثر في نتاجه بمشاكله وآلامه وأحزانه .. والعمران كيان غير قابل للرؤية خارج إطار مجتمعه فهو يستمد منه كبرياؤه ويهوى ويضعف بضعف موطنه ... يزداد قوة وانسجاما عند وحدته ويتفتت بعشوائية عند تجزئته .. يحمل في ثناياه مبادئ وقيم مجتمعه ويتحلى في ظاهره بسمات ولون وعبق الارض التي يولد ويعيش عليها ..

ولعل في تلك العلاقة الوثيقة بين هوية العمران وهوية المجتمع ما يفسر التشوه الواضح لهوية عمراننا المعاصر ويوضح في ذات الوقت لماذا فقدت معالم عمارتنا المعاصرة هويتها.. فهوية العمران العربي تعاني – تماما كمجتمعنا – من فقدان الوعي بمعنى الهوية وضبابية الرؤية الكلية للماضي والحاضر والمستقبل ، وتئن من التخبط في تيه اشكاليات الاصالة والمعاصرة ، المحلية والعولمة ، الوحدة والتجزئة ، الظاهر والباطن ، المادية والانسانية وغيرها الكثير الذي يعاني منه مجتمعنا العربي.. والهوية التي نعنيها ابعد ماتكون عن تلك الاشكال والزخارف الظاهرية .. انها الانعكاس الصادق للانتماء للذات الانسانية وطبائعه , والمجتمع و قيمه وأعرافه والاحترام العميق للمكان وخصائصه .

والهوية تولد من داخلنا وبداخلنا وتنمو وتتشكل بما نعاصره ولكي تعيش معنا وتواجه تحديات واقعنا . فهي تحتاج الى الكثير من المرونة بدرجة تكفي للتوافق مع متغيرات حياتنا ومستجداتها وفي الوقت نفسه الصلابة التي تفرض استمرارية ثوابت قيمنا ومبادئنا .. و لعله بات محتما علينا أن نراجع انفسنا لنعي اسباب فقداننا لهويتنا ودور كل منا في هذا الفقد وبالتالي مسئوليته تجاه تجاوز تلك الازمة التي تواجه مجتمعنا و عمراننا منذ عقود ..

لماذا فقد العمران هويته العربية ؟

ان سر تمزق هوية عمراننا العربي بين اشكالية مثل الاصالة والمعاصرة والمحلية والعولمة هو أمر نشأ بالتدريج كنتيجة للصراع الذي يدور في صدورنا بين هذا المد الحضاري الغربي المعاصر ، والذي انتقل الى بلادنا رغما عنا بالاستعمار أولا ثم بالهيمنة والسيطرة الاقتصادية مؤخرا وبين تلك الجذور التراثية الاصيلة لمجتمعنا وعمراننا الذي كان يوما ما منارة اشعت ضياءها وجامعة درست علوم العمران للحضارة الغربية بأسرها .. وما يزيد من حدة هذا الصراع هو ضعف قدرتنا على مواجهته بسبب الاوضاع المتردية عموما في مجتمعنا العربي وحالة فقدان الثقة بالذات التي يعانيها المجتمع ، بسبب تدني ثقافته العربية وتذبذب اوضاعه الاقتصادية وتفكك كياناته الاجتماعية وفساد نظمه السياسية ، وضياع الاحساس بالانتماء للكيان والثقافة العربية وضياع مفهوم العروبة وما يحمله من اعتزاز بالهوية الجماعية ويرسخه من مبادئ الولاء الواحد والمستقبل الواحد والهدف الواحد والرؤية الواحدة للآخر وللعالم وبالتالي الهوية الواحدة . الأمر الذي أدى حتما إلى خروجه من مضمار السباق الحضاري وتحول دوره الى تائه يبحث عمن يتبعه ليعيده مرة اخرى الى صفوف المتباريين فضلا عن أحلامه الدفينة عن إستعادة القمة مرة أخرى . وطالما عكس عمراننا العربي عامة و المصري خاصة حال أمتنا في اوج تألقها ، حيث اتسم بالأصالة والعمق و بالإنسجام بين مكوناته والتكامل بين عناصره والإرتباط والتوافق مع بيئته ، وبمعمار هادف يحترم قيم المجتمع و يؤصل لتقاليده داخل إطار ذو قدرة على الإبتكار والتجديد اللانهائي .. تحاكي العلاقات بين عناصره ذات العلاقات المتبادلة بين افراد المجتمع من حيث التكامل فيما بينهم والارتباط بالمكان والانتماء اليه.. وحملت هويته الطرح الحضاري لكل تلك العصور المتباينة التي توالت على بلادنا بصورة تلقائية بلا ادنى افتعال او تكلف حيث نبعت تلك الهوية من الشخصية المصرية التي تشكلت بفعل السنين وبفعل تراكمات ثقافية متعددة اثرت تلك الشخصية واضافت الى اصالتها الاولى ابعادا جديدة .

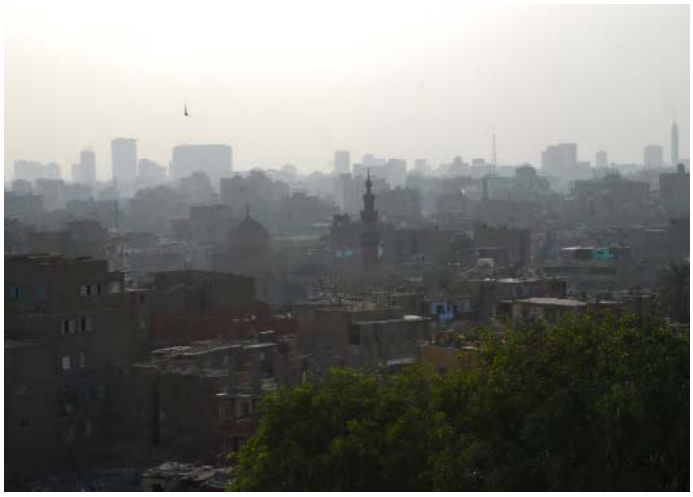

وها هوعمراننا يرسم اليوم و بكل وضوح صورة مذبذبة فاقدة للثقة والانتماء لثقافتنا وحضارتنا بل وتمثل النتاج المادي المؤكد لحالة التفكك والتابعية التي وصلنا اليها .. فهو يتسم بالانفصال الشديد عن بيئته المحلية سواءا في جغرافيتها او تاريخها وانكارا لخصوصية وتفرد المكان وتجاهل لظروف ومتطلبات واحتياجات الانسان ، فيصبح بذلك عمرانا عشوائيا لا انسانيا .. ولأنه غالبا ما يستورد روحه وطباعه من بيئات اخرى غريبة عن بيئته الاصلية وتتنوع في ذلك التوجهات نظرا لعدم وجود رؤية مجتمعية شمولية لما يود المجتمع لعمرانه ان يكون ، فانك تتجول داخل اي مدينة من مدننا العربية فاذا هي عشرات المدن داخل المدينة الواحدة تختلف فيما بينها اشد الاختلاف في المستوى الاقتصادي والتصاميم المعمارية وشبكة العلاقات العمرانية وغالبا ما تتسم جميعها بالسطحية .

واذا كنا سبق واقررنا ان العمران والمجتمع في علاقة تبادلية من التأثير والتأثر وان ما يصلح او يفسد اي منهما يؤدي في النهاية الى اصلاح او افساد صاحبه الا ان اليد الاولى في مراجعة وعلاج مسألة فقدان الهوية والانتماء ينبغي ان تبدأ من المجتمع .

وماذا بعد .. ؟!!

ان حالة التابعية تلك هي مفتاح سر اشكالية فقدان الهوية واصل الصراع حول مسائل مثل الاصالة والمعاصرة والقديم والحديث .. فبحث المجتمع دائما عمن يتبعه سواء تبع في ذلك عصورا مزدهرة من تاريخه حقق فيها اسلافه امجادا وحضارات أو سواء تبع في ذالك حضارات اخرى غريبة عنه تفرض عليه اليوم تجربتها وتهيمن على رؤيته بما وصلت ايه من نجاحات لا يمكن ان يؤدي بأي حال الى الاحوال الى استعادة الاحساس بالانتماء ولا اعادة بناء الهوية الضائعة .. والجدل حول معنى الهوية وتأويل المبادئ واعادة كتابة القيم لتتماشى مع فكرنا المعطل لن يؤدي بنا او بعمراننا الى تحقيق مرادنا .. وخاصة اننا لم نعد نملك الوقت الكافي للتحسر على امجاد الماضي والاستمرار في الجدل حول القديم والجديد .. **أن هويتنا تنبع من وعينا المتأصل بمن نكون اليوم ..** وتشوه او ضبابية هذا الوعي هي اصل الداء الذي نعانيه من ضياع لتلك الهوية .. وبداية الطريق لاستعادة هويتنا المفقودة هي في الاعتراف بالتقصير الجماعي الذي مارسناه في حماية وحدتنا وأصالتنا وحضارتنا مما لحقها من تحد سافر لاستقلاليتها وتعد على هويتها .. علينا كذلك ان نواجه انفسنا بحقيقة ان العالم الواحد الذي نعيش فيه لم يعد للاختيار فيه النصيب الاكبر حيث يفرض الاقوى سيطرته والاصلح هيمنته ولا مجال هنا للمزيد من الشعارات التي تتعلق بما كنا يوما ما بل ان العالم اليوم يبحث عمن نكون اليوم ..

علينا ان نبحث عن ادوارنا - افرادا ومجتمعات – في اعادة التوازن لهذا الوطن العربي الكبير .. ومراجعة رؤيتنا لماضيه ومستقبله .. واستعادة احساسنا بالانتماء لأرضه والفخر بهذا الانتماء ..

وعلينا في الوقت نفسه ان نواجه الازدواجية التي نمارسها في التفكير في ماضينا ومستقبلنا ، ظاهرنا وباطننا والتي تصور لنا ان بالامكان دائما الفصل بين القول والفعل واننا نملك الحق في التباهي بأمجاد أسلافنا وحضارتهم في نفس الوقت الذي نتبع فيه خطى سواهم لتخطي مآزقنا الاقتصادية والسياسية بل والاجتماعية.. والعمل على الخروج من دائرة الاختيارات بين الحلول القائمة والاعتراف باننا لا نملك الان ولم نملك يوما ما الاختيار بين ما هو مفروض علينا او ما هو متأصل في نفوسنا واننا لسنا بصدد اختيار واحد من اثنين او في حاجة الى ذلك .. وانما نحن امام ابتكار ثالث ينبع من داخلنا ويعبر عن هويتنا .. ان مراجعة رؤيتنا لأنفسنا لاستعادة الثقة في الذات والاعتزاز بالثقافة العربية واسترجاع الانتماء الى المجتمع هي الخطوة الاولى في التخلص من التابعية الحضارية التي نحياها منذ قرون والتي تسببت في ضياع هويتنا المجتمعية والعمرانية و ربما يسبق تلك الخطوة بقليل استيعاب جوهر الهوية الفردية والمجتمعية ، في ظل كل تلك التراكمات الثقافية الهائلة التي شكلت حضاراتنا السالفة و التي تتصارع اليوم في صدورنا كعرب ومصريين لتفرض وجودها امام الغزو الثقافي المعاصر، وذلك أملا في تصحيح التشوه الذي اصاب ثقافتنا وهويتنا .. والانطلاق من ان تراكمات الماضي تلك هي التي تشكل وعينا بالحاضر وان مجتمعنا المحلي هو الذي يرسم علاقتنا بالعالم بأسره ولا يوجد في الواقع حد فاصل بين الماضي والحاضر انما كلاهما يؤدي الى الاخر ويؤثر فيه او عليه .. والايمان بان حاضرنا هو مزيج من عبق الماضي وحلم المستقبل يحسم قضية الصراع بين الاصالة والمعاصرة بعدم وجود صراع من الاصل كل غير قابل للتجزئة. ولا يقودنا ذلك الا الى **ان استعادة الهوية انما هي اشكالية تتعلق بإحياء للجوهر واستعادة لتلك العلاقة التي طالما ربطت بين ثوابت الانسان والمكان في ظلال ذلك المتغير دائما الزمان ..**

معمار بدون معماريين، رحلة فى البحث عن مفهوم الجمال فى القاهرة العاصمة

كتابة و تصوير : أمنية خليل

كانت البداية محاكاة الانسان للطبيعة بقدرتها التعبيرية الابداعية من الخالق وترجمتها فى خطوط ابداعات على مصنوعاته. وعندما بدأ الانسان للبحث عن مأوى ومكان يحميه من الظواهر الطبيعية لجأ للطبيعة لايجاد المسكن فأوى تلك الكهوف ، وتبعتها محاولة إضافة صور جمالية تلقائية بأشكال ورسومات تعبر عن حياته البدائية البسيطة. وبحثاً منه عن أصول الجمال وصور مريحة للعين تمد روحه بمعنويات وطاقات ايجابية تجاه حياته ، والبحث عن الجمال هو شعور فطرى غريزى ، ينبع من الانسان وهو يبتكر ، وترتبط نتائجه بعوامل عدة منها المكان أو الثقافة أو الوطن. ومن أسمى الفنون فن المعمار حيث أنه الفن الذى يحقق للانسان عوامل عدة منها وظيفية واخرى جمالية. واليوم بعد رحلة ممتدة للانسان ، استمر نسق التعبير الجمالى التلقائى وإن أختلفت أشكاله وعبرت واجهات المبانى عن ثقافات المجتمعات ونتاج رحلات بحثهم. واستمرت البيئة العمرانية المتمثلة فى العمارة تبحث عن الجمال وصورة تُريح العين ، وفى نفس الوقت تحاول الوصول لكمال البيئة الطبيعية وتكويناتها. وتمثل البيئة العمرانية الاتجاه الرسمى الذى قد لا يرتبط بالقطاع العريض من الشعب ، وما نحن بصدد دراسته والبحث عنه من خلال هذه الكلمات للابداعات الفنية الشعبية التى تواكب فن العمارة وتكملها. ويمثل هذا الفن الاتجاه الغير رسمى والعفوى التلقائى الذى ينبع من الناس.

ونبدأ بحثنا هنا بتكوين القاهـــرة ومفهوم الجمال لدى الناس فى عاصمة مصر، التى تميزت منذ تكوينها بمرورها بحقبات زمنية متتابعة ومختلفة ، مما أثرى المدينة بمنظومات وفنون ثرية بالعناصر ذات المعنى. وتطورت العمارة وفن المعمار فى القاهرة بدءاً ومع تكوينها بعمارة الفاطميين – الايوبيين – المماليك – العثمانيين ودخلت المدينة لمرحلة جديدة حيث امتدت العاصمة لتشمل الجانب الشرقى والغربى من النيل .وأخذت الحياة والعمارة والفن فى التطور ، سواء بالسلب أو بالايجاب حسبا لظروف الحياة والسياسة فى مصر منذ بداية القرن التاسع عشر حتى نهايته ، وفى القرن العشرين أخذت مصر فى الصعود والنهوض فى مختلف جوانب الحياة ، وكان الفن والعمارة والابتكار يصعدون رويدا رويدا ،وفى ظل ظروف نكسة 1967 اختلف المجتمع ، وفى ظل الثلاثون عاما الاخيرة حدث الكثير من التغيير فى المجتمع وجوانبه السياسية والاجتماعية المختلفة مما انعكس على العمارة والعمران والفن الذين هم موضوع بحثنا.

بالنظر الى المدينة نفسها كصورة حية للحياة بها ، نجد الكثير من التلقائية والعفوية فى ارقى واكثر الاحياء نظاما وتخطيطا ، كما نرصد التغيرات المعمارية والفنية وتطورها الحادث فى القاهرة –العاصمة- منذ اوائل القرن العشرين ،. هذه التلقائية ليس فقط فى العمران والمبانى بل فى الانسان والناس الذين ينعكسون ويعسكون كل الظروف السياسية الاقتصادية والاجتماعية التى تمر بها القاهرة ، ويعبرون عن حالة أصابت المجتمع ، ألا وهى الفردية ، أصبح كل فرد يتعامل مع الحياة انه وحدة واحدة وليس جزءً من جمع ، وبما أن المبانى تحوى الحجر والبشر ومن يصنع المبانى هم نفس هؤلاء البشر ، فتتمثل المبانى حذونا ، ويتصرف كل مبنى انه وحده ، ويقف راسخا فى الارض وحده ، دون أى تفاعل أو انسجام مع باقى ما حوله من مبانى.

كما تحول جسد المبنى الى قشرة خارجية ، تحوى بداخلها هيكل ، يؤثر هذا الهيكل ويتأثر بالقشرة الخارجية ولكن فى اطار المبنى فقط ، وليس فى اطار الجمع من المبانى ، مما يعكس الحالة العامة للجمع فى القاهرة

أختيار لرحلة حياة وممارسة مهنية .. وبدأ بحثي عن القاهرة ومجتمعها الحضري وتكويناتها المتراكبة من الفترات التاريخية التى أثرت فى تراثها وتكوينها ، وتركت مع القبح الذى استشرى فى المدينة ،)ليس فقط فى المناطق الفقيرة ولكنه فى معظم التكوينات العمرانية فى القاهرة سواء المنظمة أو الغير منظمة(حاول ويحاول الجميع من مختلف الطبقات والافراد للبحث عن الجمال ومفرداته ، بل ويحاول خلق صورة جميلة للعاصمة الذى بعثت وتبعث الكثير من الصور والتكوينات المشوهة. ومن هنا جاءت محاولات ايجاد صورة جميلة)من وجه نظر كلٍ منهم(، وتأتى محاولة ايجاد الصورة الجميلة من مختلف الطبقات يعبر عنها كلٍ حسب رؤيته وامكاناته. ومع فقدان الهوية وفقدان الاحساس بالتميز ، ومع العيش تحت وطأة ظروف اقتصادية وسياسية متغيرة ، يحاول كلٌ تجميل المساحة الخاصة المتبقية له.

منهج البحث :قررنا التعامل مع واجهة المبنى على 3 مستويات: المستوى الاول ، **تقابل الخصوصية والعمومية المتمثل فى مواجهة المبنى للمجتمع.** المستوى الثانى ، **إطلالة الداخل على الخارج المتمثلة فى شرفات المبانى.** المستوى الثالث ، **تفاعل الخارج مع الداخل المتمثل فى المحلات التجارية.**

تقابل الخصوصية والعمومية

خلال تاريخ القاهرة المحروسة ، ظهر الفن الشعبى على واجهات العمارات)السكنية منها خاصة(، ويتمثل فى صورة رسومات أو كتابات على الجدار الخارجى للمبنى.

وبسبب الاصول العريقة للعمارة الدينية فى القاهرة ، الكتابات الدينية كانت تحتل المبانى الدينية بشكل منظم ومرتب ومندمج مع المعمار والجدران. ومع التطور العمرانى الحادث فى الثلاثين سنة الاخيرة ، والتغير الحادث فى التكوين الاجتماعى والنفسى الناتج عن التغير فى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكما سبق ذكره عن الشعب وكيف أصبح أفراده يعيش كل منهم وحده فى بوتقة معزولة ، ولا يحيى الافراد فى المجتمع كجماعة ، أصبح التعبير عن النفس مفقود فى الاوساط العمومية ، وحاول كلٌ اثبات نفسه ووجوده مما انعكس على السيارات والمبانى من عبارات شخصية تعبر عن المالك وهويته ، وما يعنينا فى بحثنا هى واجهات المبانى والتى تمثل لغة حوار بين الخصوصية والعمومية ، حيث ظهرت الكتابة والرسومات فى خلال الخمسينيات والستينيات على واجهات المبانى فى معظم الأحياء الشعبية ولكنها أختصت بالثقافة الدينية خاصة فريضة الحج. ولكن رصدنا بالصور الفوتوغرافية لنتاج الثلاثين سنة الاخيرة من تاريخ القاهرة يعبر عن شىء مختلف وبحث وتعبير حقيقى تلقائى عفوى عن هوية المجتمع وبحثاً منهم عن تجميل مبانيهم إزاء الضائقات المادية لتجميلها معماريا من قبل معماريين.

أختصت ملاحظاتى لمبانى الطوب الاحمر الموجودة بشكل رسمى بسبب أنشاء طرق جديدة وبسبب زحف الناس الى المدينة ، والمفاجىء هو تواجد بعض من نفس الانساق فى أحياء رسمية مصممة من قبل عمرانيين على عمارات دُرس تصميمها من قبل معماريين وقرروا أيضا التعبير عن هويتهم من خلال الكتابة على المبنى. وتظهر فلسفة معمار بدون معماريين للتعبير التلقائى من الناس عن هويتهم دون انتظار أو محاولة البحث عمن يستطيع تنظيمها أو التعبير عنها.

إطلالة الداخل على الخارج

يعتبر فراغ البلكونة الذى هو تطور لفراغ المشربية ، فراغ متوسط الخصوصية ، ولكنه يعتبر جزء من الواجهة الخارجية للمبنى ويعتبر إطلالة ممن هم داخل المبنى على خارجه ومعماريا عادة ما تظهر البلكونة بنفس مواد التشطيبات لواجهة المبنى وبنفس ألوانها. وظهر فى السنوات الاخيرة ظاهرة تلوين البلكونات حيث بدأ الناس من مختلف الثقافات ومن مختلف الطبقات الاجتماعية ، يشكلون فى فراغ البلكونة الخاصة بهم ، وتعود تفسيرالظاهرة لاسباب عدة منها قلة الاهتمام بتنظيف الواجهات فيغطيها هذا اللون الرمادى الكئيب الذى يكسوها

مع انعدام الصيانة تقريبا ، وايضا مع تطور الدهانات ذات الالوان المبهجة ، بدأ الناس من مختلف الثقافات ومن مختلف الطبقات الاجتماعية ، يشكلون فى فراغ البلكونة الخاصة بهم. وبحث السكان عن التميز الفردى فى فراغاتهم الخاصة التى يستطيعون التحكم بها وتجميل مساحتهم الداخلية أو الخارجية بالطريقة التى يجدوها مناسبة لهم ولمفردات ولغة حياتهم الخاصة. وهى ايضا ظاهرة لمعمار بدون معماريين ، فالناس عفويا وتلقائيا يبحثون عن ما يشكل على حوائط شرفاتهم ، أشكال بسيطة ، بألوان مبهجة بحثا عن الجمال والراحة لاعينهم من وجهة نظرهم.

تفاعل الخارج مع الداخل

منذ السبعينات والانفتاح الاقتصادى وتفشى الروح الاستهلاكية فى مصر ، أخذت التجارة فى الازدهار ، وأصبحت المهن التجارية طموح العديد من الناس ، وتحول الانسان المصرى من صانع الى تاجر ، ومن منتج الى مستهلك. وترجم ذلك معمارياً لاحتلال النشاطات التجارية الدور الارضى المتصل بالشارع ، وأخذ أصحاب المحلات فى الاجتهاد فى عمل التشكيلات الفنية التى تعبر عن موضوع تجارته والتى يحاول أن يجتذب بها الناس بها. والعامل الوحيد الذى يسيطر على عقل التجار واصحاب المحلات التجارية هو كيفية جذب العميل ، منفصلين تماما عن المناطق والاحياء والمبانى ، بل ومنفصلين عن نوع المنتج نفسه وكيفية الترويج اليه. ولم تختلف كثيرا وجهات نظرهم ، ممن يقطنون حى أو اخر ومن منطقة الى اخرى ، فى وجهة النظر عند سؤالهم عن شكل المحل الخارجى وكيف يختارونه. تأتى الردود متشابهة انهم يريدون فقط جذب الانتباه الى المحل وانهم عادة ما يلجأون الى شركات الدعاية والاعلان حتى تنفذ لهم احدث الصيحات. وابدوا دهشتهم جميعا عندما تحدثنا عن التصميم المعمارى وكيف ترتبط دعاية المحل بالعمارة أو البناية نفسها ، واجاب معظمهم أنه لا توجد علاقة بين تصميم واجهة المحلات وبين العقار الذى يحتويها.

ولم تختلف الديكورات المختلفة المستخدمة من حى المقطم الحديث نسبيا ، الى المبانى العريقة ذات المشربيات فى السيدة زينب ، فجميعهم يستخدمون ألوان وأضواء صاخبة لجذب الانتباه. وانها لظاهرة اخرى لمعمار بدون معماريين ، أنهم يستخدمون المنتج نفسه فى عمل تشكيلات على واجهة المحل ، والتشكيلات تلقائية وعفوية ، تبحث خلالها عن صورة جميلة لمنتجات متعددة.

إن السمة العامة التى أكدتها الظواهر المعمارية والفنية فى العقود الثلاث الاخيرة هى النزعة الفردية وبعيداً عن تقييم الجماليات التشكيلية لتلك الابداعات فإن النتيجة الحادثة غياب التوجه الجماعى فى الصورة الشاملة للعمارة والفن الشعبى المواكب لها عند المجتمع ، وهى ظاهرة تحتاج إلى إعادة تقييم لنتمكن من بناء حالة معمارية وفنية مجتمعية جديدة.

لمشاهدة فيلم «من غير معمار» ١١ دقيقة

http://www.youtube.com/user/Okhalil1984?feature=mhee

عمارة الأرصفة، ليست فقط عمارة تلقائية

كتابة و تصوير : يحيى شوكت

«عمارة الأرصفة» هو مشروع لطلبة قسمى عمارة وفنون جميلة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة قاموا به أثناء دراستهم بمادة «العمارة: هل هى فن أم هندسة؟» عام ٢٠١١ تحت إشرافى.

سوف يصدرمركز جون جرهارت للعطاء الاجتماعي والمشاركة المدنية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة كتيب عن هذه الأعمال.

مقدمة

نتج تكدس القاهرة بالسكان على الإعتراف بقيمة كل شبر من أرضها حتى باتت للمساحات العامة كالأرصفة قيمة عقارية. الأرصفة وهى نظام تم إستيراده من الغرب فى أواخر القرن التاسع عشر مع أفكارهم العمرانية، أنشئت للفصل بين المشاه وعربات الحنطور فى السير وسرعان ما أخذت السيارات مكان الحنطور وباتت أغلب مدن مصر تحتاج إلى الأرصفة.

ولكن مع الإحتياج الجديد إستمرت التقاليد القديمة التى نسبت ملكية الرصيف إلى العقار المجاور وليس للمارة، فإفترشت المتاجر بضاعتها وجلس الحراس على مصاطبهم وركن أصحاب العقارات سياراتهم ونشر أصحاب المقاهى كراسيهم. أما الأرصفة الغير ملتصقة بعقار فبنى التجار أكشاكهم ونصب أصحاب عربات الطعام نصبتهم حتى أعلى الكبارى المارة فوق النيل مثل كوبرى المنيب وهو فقرة من فقرات الطريق الدائرى بالقاهرة وكوبرى الجامعة وقصر النيل.

لم تفلت أرصفة وحدائق الطرق السريعة من أعين الحاجة. فتحولت الأراضى الفارغة عند التقاطعات المهمة إلى مواقف للمكروباصات تحيى ببائعى الجرائد والشاى والمأكولات التى تخاطب جيوش المهاجرين اليوميين. أما الأرصفة القريبة من أسواق الجملة تصبح ملتقى لتجار التجزئة الذين يأتون بعرباتهم الكارو ليبيعون الفاكهة والخضروات.

قطاع مليونى

تقدر عمالة هذه التجارة التلقائية بما بين مليون ونصف إلى خمسة ملايين عامل حسب الجهة التى قامة بالإحصاء. هذا يمثل ما بين ٤٪ إلى ١٢,٥٪ من القوة العاملة على مستوى الدولة. لذا تمثل هذه التجارة قيمة إستثمارية مرتفعة وترفع عبء ليس بالقليل عن نظم الدولة والقطاع العام وتفتح بيوت أكثر من مليون أسرة. معظم هذه التجارة مدعومة بالمال الخاص وتمثل كامل رأس مال التاجر وبالطبع لا تخلو من المخاطر حيث أنها تغيب عنها جميع أنواع التأمينات ونسبة كبيرة من التجار يظلون تحت تهديد الإخلاء من طرف البلدية.

عبقرية الرصيف

حتمت الظروف المتقلبة للتجار التلقائيين أن تكون نصبهم ومعمارهم أكثر من مجرد رد فعل للواقع. تستخدم جميع أنواع المواد منها التى تم إعادة إستخدامها مثل جرادل البوهية والكراتين الفارغة إلى أكشاك صممت خصيصا لموقعها. تعكس قيمة المواد قيمة المكان عند التاجر، فالأماكن الغير آمنة تحتم إستخدام مواد خفيفة لتساعد الفرار السريع عند التهديد بالإزالة، والعكس صحيح.

لكن هناك بعض المشاكل التى رصدتها الطلبة. فأغلب النصب المتحركة تعتمد على مجهود قاسى من أصحابها للنقل والتشغيل مما يصعب المشقة على من هم دون سن المراهقة أو فوق سن الأربعين أو من يشكون من متاعب صحية أو النساء. مشقة نقل النصب خصوصا النصب التى تحتاج إلى مياه نظيفة للشاى و طريقة الجلوس الخاطئة كانتا من أكثر أسباب المعاناة حيث تترتب عليها مشاكل خاصة بفقرات الظهر وتفرض الفراش على من يعانى منها مما يسبب ضياع ربح التجارة لعدة أيام بطريقة دورية تزيد من المعاناة المالية.
كما تعانى الأكشاك من خطر الصعق الكهربائى نظرا لتدنى مستوى التوصيلات الكهربائية لأعمدة الإنارة العامة، مع إرتفاع مستوى السرقات الإنتهازية التى تساعدها إنتشار

البضاعة خارج الكشك, مع هذه التحديات رصدت الطلبة حلول عبقرية قام بها التجار لتفادى بعض من هذه المشاكل، دليلا على أن عمارة الأرصفة ليست فقط عمارة تلقائية.

إطار المشروع

رفع كفأة نصب قائم من خلال دراسة دقيقة للموقف وعملية تصميم بمشاركة صاحب النصب. يجب أن يكون هدف التعديلات الأساسى رفع المعاناة الجسدية على صاحب النصب يليه رفع مستوى إدارة الدخل. جميع التعديلات لابد أن تكون فى حدود ١٥٪ من قيمة النصب الأصلية لتكون مستدامة وفعالة.

أحد الباعة بشارع التسعين بالتجمع الخامس

قام الطلبة بعرض خبرتهم التصميمية على أصحاب نصب قد يعرفونهم أو يمرون عليهم فى طريقهم إلى الجامعة. بعضهم قرر مشاركة أحدا يعرفونه لكنه غير قادر على الإستعانة بمكتب إستشارى، لذا هناك شقة خاصة ومركب فالوكة ضمن الأعمال.

أعتمدت الطلبة على إجراء حوارات مسجلة بينهم وبين أصحاب النصب لكى يدرسون ويتعرفوا على تحديات نصبهم. المرحلة التالية تطلبت عمل مجسم للنصب للتشاور مع صاحبه على صف دورية خلال مرحلة التصميم وعمل التعديلات على المجسم حتى الوصول للصفة النهائية للتعديل.

مجسم للنصب بعد تطويره

بعض من الطلبة إستطاع الخروج عن إطار المشروع وتطرقوا إلى مشاكل الحيازة والحق فى التواجد، مما دل على رؤيتهم لإستدامة التجارة التلقائية وأنها تتطلب مراحل أكثر تعقيدا عن الحل التصميمى فقط .

مشروع الكنوز الخفية، المدابغ، مصر القديمة رحلة بدأت ... ولم تنتهى ... كتابة و تصوير : أمنية خليل

بدايـــة مبكرة .. كنت وأنا في العاشرة من عمري أشارك في نشاطات مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية ، وفى احدى زياراتي للمركز فى عين الصيرة ، وكان يوما مخصصا للاطفال العاملين بالمنطقة ، ادركت ان هناك اطفال يعيشون نمط حياة مختلف عني فهم لا يذهبون لمدرسة كل يوم كما أذهب ، لكنهم يذهبون الى عملهم ، تصادف عمل هؤلاء الاطفال بمنطقة عين الصيرة ، وانحصرت اعمالهم فى ورش السيارات والمخابز والمدابغ. شغلنى الموضوع كثيراً وأثار في داخلي أسالة لم يتمكن عقلي بطفولته وفظرته أن يجيب عليها وأستمرت التساؤلات عندي تكبر تبحث عن إجابة ترضي فضولي خاصة عند غبوري بذات المنطقة في عين الصيرة ومنطقة المدابغ ، وأخذت أمى تشرح لي عند مرورنا المتكرر بهذه المنطقة عن ما هو عمل المدبغة .. وهنا أنبهرت كثيراً بهذه الصروح والمبانى العالية المكونة من ألواح من الاخشاب ولا أفهم ماهيتها وماذا ورائها ؟؟ .. وظل التساؤل يلاحقنى بل وأخذ يكبر معي وأنا أنفتح على الحياة في سنين تشكيل الوجدان والفكر ككل شباب جيلي ، حتى إلتحاقي لقسم العمارة ، أستمرت تساؤلاتي تبحث عن الاجابة مع رحلتي في الحياة ومرورى بهذه المنطقة بالذات يوميا ، ذهاباً وإياباً من وإلى الجامعة ، أتأملها وأرى فيها تكوينات عمرانية ومعمارية مختلفة ومميزة ، مع الأحتفاظ فى عمق ذاكرتي بصور الاطفال الذين يعملون هناك ؛ صورة ترسخت في ضميري وعقلي نحو مسئوليتي نحو هذا المجتمع .

وقد ساعدني على تشكيل هذا الوجدان النشأة المجتمعية التي تفرض على الانسان توجهاته ومعتقداته ، فكانت نشأتي لأسرة من الطبقة المتوسطة القاهرية وراء أهتمامي بعلاقة عمران المدينة بالمجتمع والتأثير المتبادل بينهما ، ورسخ هذه الرؤية توجهي للدراسة المعمارية بجامعة القاهرة ، حيث تبلورت أهتماماتي بمدخل تطوير تلك المجتمعات التي قد تعاني من قصور أو مشكلات نتيجة لفقدانهم لحقوقهم في حياة كريمة ، ومن خلال قراءاتي عن القاهرة ، تأكد لي أحتياجها للتطوير واعادة صياغة لعلاقة العمران بالمجتمع ، ومنطلق هذا التطوير كما أفهمه هو المشاركة المجتمعية . وعملت جاهدة أن يكون مشروع تخرجي مرتبطاً بهذا النسق وذلك الأعتقاد الراسخ لعلني

أجيب على سؤال راودني من سنين الطفولة وحان الوقت للبحث لتبدأ الرحلة والبحث عن الاجابة ، فأخترت مشروع تطوير منطقة المدابغ فى مصر القديمة بالقاهرة والبحث وراء تلك السور والعيون الضخمة التي بهرتني منذ صغري ، بالجانب لتطبيق رؤية الربط بين العمارة والتاريخ والمجتمع ، والنهوض بالمكان ومن يقيمون ويعملون به لايجاد فرصة فى مجتمع أفضل .

أختيار لرحلة حياة وممارسة مهنية .. وبدأ بحثي عن القاهرة ومجتمعها الحضري وتكويناتها المتراكبة من الفترات التاريخية التى أثرت فى تراثها وتكوينها ، وتركت لنا موروثاً من الاماكن والمنشأت التاريخية. وبالنظر خلال تلك المجتمعات التراثية على الخريطة ، نجد الكثير من المناطق المخفية والتى لا تظهر بشكل واضح ولكنها تحمل تراث المدينة وذاكرة سكانها لعصور متعاقبة ، قد تبدو ظاهرياً فى صورة عشوائية وغير منظمة ولكنها تحمل في جوهرها تاريخ وحياة مجتمع ، وينطبق هذا على المناطق الصناعية والحرفية المتواجدة فى الاحياء والمناطق التراثية ، وما تحويه من كنوز خفية فى مبانيها وسكانها وما يمتلكونه من قدرة على العمل والابتكار .. "خلال الرحلة ، يجب أن تعثر على كنز مخفى" باولو كويلو . وقد أستخدمت فلسفة تلك الجملة فى التعرف عن قرب وبعمق ما تحمله على تلك المجتمعات وكنوزها وامكاناتها الخفية . وفى القاهرة نمتلك الكثير من هذه المجتمعات ، وهذه المجتمعات من وجهة نظرى تحتاج الى بعض التطوير والتنظيم العمرانى والمعمارى كى تعمل بكفاءة أفضل وتحسين من وضعها الاقتصادى والاجتماعى فى القاهرة لخدمة سكانها والمجتمع القاهري عامة .

وبدأت الرحـــلة .. وبدأت رحلتي للبحث عن تلك الكنوز الخفية بمنطقة المدابغ من خلال القيام بزيارات متواترة حيث إنه يصعب استيعاب كل بواطن وأنساق هذا الكيان العمراني والمجتمعي الحرفي فى آونة واحدة ، ولاسيما وأن المنطقة تقع خلف سور مجري العيون ، مما يكسبها أهمية تاريخية وتراثية ، بالجانب الى ثرائها الصناعى والحرفي ؛ بالإضافة إلى تميز العاملون بها بشخصية فريدة ومغايرة ، هي تحمل تزاوج بين التاريخ والأمكانية الاقتصادية لحرفة خاصة وغير متكررة ومجتمع له خصوصيته . ونستدل على ذلك من حقائق هامة جداً في مرحلة سابقة أن مدخولات مجتمع المدابغ الصناعى هذا من ايرادات لمصر كان اكثر من 500مليون دولار سنويا ، بجانب أن مصر فى الستينات كانت من أولى دول العالم فى صناعة وتصدير الجلود المدبوغة والمصنوعة. وتحولت الان فقط الى واحدة من الدول النامية والتى تنفذ أسوأ مرحلة فى دباغة الجلود ثم تصدره كى يتم تلوينه وتصميمه فى دول أخرى . ومن جهة أخرى تعالت المطالبات والمقترحات لنقل مجتمع المدابغ بأكمله الى منطقة الروبيكي على طريق مصر الاسماعيلية ، وايمان الكثيرين ان تلك المنطقة يجب ان تخرج من قلب المدينة العاصمة وان تحتل أراضى الصحراء بالمدن الجديدة بدون البحث عن بدائل لمعالجة سلبيات وتعظيم الايجابيات والكنوز الكامنة في المجتمع ، وكذلك بعيداً عن مشاركة المجتمع المحلي نفسه واستطلاع رأيه .

وأصبحت قضيتي في اختياري للمشروع هي الاجابة عن سؤال مبدأي هو .. **كيف سأدافع عن تلك المنطقة لتبقى ولتتطور الى مجتمع افضل قائم؟ ..**

وكانت الاجابة هناك في المنطقة نفسها مع المجتمع حياته ومتطلباته في ذات المكان مع تاريخه وتراثه فمنطقة المدابغ كما عرفتها تتكون أساساً من ورش ودواليب عمل ، ولا تحتوي بيوت سكنية إلا على الأطراف وحول المدابغ نفسها ، وبالتالي أنصب كل أهتمامي لدراسة ومحاولة استيعاب المدابغ نفسها وطريقة عملها والعاملين بها من جهة ، ومن جهة أخرى التعرف الى الاثار فى المنطقة والتى تعتبر جزء من المدابغ نفسها .. وتكررت الزيارات وتنوعت ما بين اكتشاف تاريخ المنطقة والمياه والاثار ، وما بين الصناعة والحرفة والمجتمع المحلي وما يواجهه من مشكلات وتحديات للبقاء وللعمل .

ففى زيارات المجتمع الحرفي كنت أحمل فكرة وحلم وايمان بتحقيق مجتمع أفضل لمن يعملون ويعيشون هناك ، فكانت زياراتى لهم من هذا المنطلق ، لاكتشاف هذا العالم وهؤلاء الناس ، هل استطيع فعلا عمل أى شيء يجعل هذا المكان أفضل؟ .. ومع أول زيارة للمدابغ ، كان رد فعل احدى العاملين بالمنطقة عنيف جداً ، واخذ يلاحقتنى متمنياً موتي صارخاً هاتفاً معتقداً أنى صحفية جائت بكاميرتها لتحملهم على النقل إلى منطقة الروبيكى ولاخراب بيوتهم ، وكان سخطه دفاعاً عن حقه في البقاء ورفضه لظلم سيقع عليه ، وتفهمت هذا بل وتعاطفت معه لاعتقادي بهذا الحق ورفضي معه لهذا الظلم .

وتلاحقت الزيارات فى محاولة للتحدث مع اهل المنطقة وما يروه من مشكلات وحلول لمكانهم ؛ وأخيراً تولدت مصداقية وعلاقة انسانية مع بعض العاملين بالمنطقة وأخذوا يتركونى بل ويصاحبوني في زيارة هذا العالم السحرى ، كما أخذوا يشرحون لى عن عمليات الدباغة نفسها ومراحلها ، وكيف أثر نقل المدبح من مكانه القديم بجانبهم إلى مكانه الحالي ، كما تحدثوا عن المواسم والأعياد وما يمثله عيد الأضحى من حركة بيع وشراء لهم ، وأكتسبت معرفة جديدة عن صناعة وحرفة متوارثة من عصور لم أكن قد أدركتها أو تعلمتها من قبل ، فكان شرح مراحل الصناعة فى الدباغة مهم جدا ، حيث عبروا فيه عن المواد الكيماوية الخطيرة المستخدمة وعن عدم وجود شبكة صرف خاصة بهم ، وكيف أن التنقل فى شوارع المنطقة صعب جدا لهذا الشأن ، كما تحدثوا كثيرا عن تلك المدرسة الصناعية الحرفية للدباغة والتي كانت تعلم الجانب النظرى العلمي فى الدباغة جانباً إلي الممارسة التطبيقية فى المنطقة ، ما زال مبنى المدرسة موجود ولكن مهجور وتوقفت الدراسة به منذ سنوات.

المدابغ تمثل حالة خاصة بكل المقاييس ، وكلما تواجدت فى المنطقة كلما تكتشف من الكنوز والبواطن اكثر . حتى وجود السكان بها قليل جدا ، يسكنون على الاطراف يعملون فقط فى هذا المثلث ، الذى يبدو ليلا كالمدينة المهجورة ولكنه يحمل كثير من الأسرار .

أما الوجه الآخر من زياراتي للمكان فكانت للكشف والتعرف على الاثار في المنطقة ومدى التفاعل الحادث بين المجتمع والتاريخ في اطار مكان بعينه ، فهناك حمام من العصر الفاطمى يوجد داخل المنطقة ، ويصعب على الزائر من الخارج عند الدخول فى المنطقة التعرف عليه كأثر ، فقط يلحظه كمبني مختلف يعلوه سقف حديدي مائل لحمايته ومبني من حوائط من الطوب الأحمر المتأكل بعض الشيء ، ولأن الدباغون ينشرون فى أرضه أصرافهم كى تنعم بالشمس والتهوية ، فتعتقد لوهلة أنه مسطح عمل لأحد العاملين ، ويجوار هذا الأثر ساحة يصل مسطحها لحوالي ثمانية أفدنة ، تحتوي الحمام ويطل عليها المدرسة الصناعية الحرفية للدباغة المهجورة وكذلك مبانى المدابغ ؛ وتتراكم بهذه الساحة جبل هائل من الزبالة والمخلفات ، تأتي المحافظة يوميا بعرباتها كى تلقى فيه القمامة ليضمنوا أن لا يستطيع أى من الأفراد البناء فى تلك الأرض الفضاء ... أما التوجه الثاني فكان اكتشاف مصدر المياه الاثري بالمنطقة ، سور مجري العيون .. وذهبت الى قنطرته ، ورحلة الصعود إليها كانت مثيرة لخيالات من الزمان السابق ، فأنا أصعد على نفس المنحدر الذى كان تصعد عليه الحيوانات العاملة على ادارة وعمل السواقي الرئيسية وليرفعون المياه من منسوب نهر النيل الى مستوي السور ، وكيف تجمع المياه الصاعدة فى حوض مثمن الشكل ثم تبدأ فى الصب فى مجري السور نفسه والذى تشعر بالامان التام وانت تسير داخل وفوق السور على هذا الارتفاع الشاهق بسبب عرضه ، إنها تجربة فريدة تكشف عن بعد أخر مستتر بالمنطقة حول علاقة هذا الكيان العمراني بفكرة التواصل مع النيل مصدر المياه لحياة المدينة وسكانها ، بل هي الكشف عن حيوية علاقة هذا المكان نفسة بالماء منذ عصور سابقة .

الرحـــــلة - مسئولية ورسالة .. وبقي السؤال هو لماذا أدافع عن وجود مجتمع هذه المنطقة ؟ والمناطق المختلفة الأخرى مع هذ التاريخ العريق للقاهرة ، ثرائها الانساني ، عمرانها ، معمارها .. إنه لا يمكن التسليم بنقله هكذا من منطقة الى أخرى ، لا يمكن نزع الناس والنشاطات من رقعة أرض إلى أخرى بقرار فوقي لا يستند إلى مشاركة المتضررين منه في أتخاذه ، فوجودهم على تلك الرقعة مسبب وان لم يكن سبباً تاريخياً ، فماضيهم وحاضرهم يعطيهم الحق ويسبب تمسكهم بالمكان ، والمدابغ وجدت فى مكانها قديماً للعديد من الأسباب فالفاطميين هم اول من بدأوا بانشاء مدبغة للجلود فى هذه المنطقة ، فالمنطقة كانت تمثل اطراف المدينة عند نشوئها ، والاحتياج الشديد فى صناعة الدباغة الى وفرة الماء ، مما جعل المنطقة خلف سور مجرى العيون منطقة متميزة ومكافئة للمتطلبات ... ودفعتنى كل هذه الأسباب وغيرها لقراءة المدابغ والحرفة والعاملين بها وسكان المنطقة ضمن منظومة واحدة متداخلة متشابة تمثل تاريخ المنطقة وحاضرها في ذات الوقت وبالتالي كان من المنطقي التمسك بعدم نقل المنطقة إلى مكان اخر ، وان المنطقة ما زالت فى إيمانى الشخصى تحتاج إلى بعض التطوير والتنظيم العمراني والبيئي ، فالمنطقة فى اشد الاحتياج لشبكة صرف خاصة بها ، لتستوعب المخلفات والكيماويات التى يستخدمها الدباغون فى صناعتهم بل وتطوير الصناعة نفسها ، ولا أدري لماذا تقاعس مؤسسات الدولة لإنشاءهذه الشبكة لهم ، حيث يدرون على دخل الدولة كل تلك الملايين من الجنيهات كل عام ؟!.

وقررت العمل على مشروعي بعد مناقشات مطولة مع أساتذتى في الجامعة الذين أحتاجوا للأقتناع عن أسباب رغبتى فى التطوير وكيفية التطوير ،

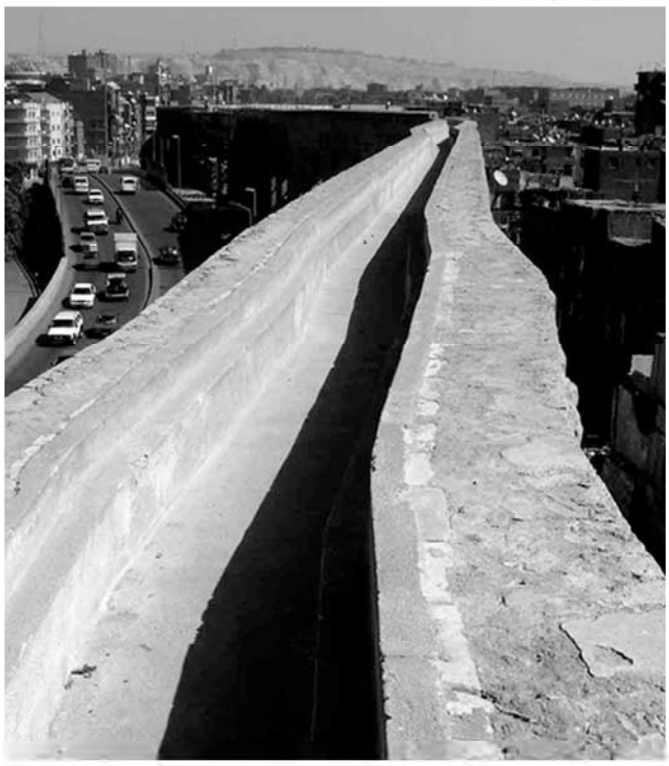

وأخيراً بدأت المشروع بنية أنه يجب ان يحمل جانباً من التوثيق لوضع قائم معرض للزوال فى حال فازت مؤسسات الدولة فى نقل تلك المكان ، وان يصبح مشروعى اداة للتعرف على ما تحتويه المنطقة وليس فقط تطويرا لها ولمجتمعها.

ورحلتي مع البحث أستغرقت تفاصيل أكتشاف المنطقة على مستويين ، أحدهما على مستوي منطقة المدابغ فقط أما الأخري جاءت لتحمل رحلة اكتشاف وربط لمواقع الكنوز الخفية المختلفة حيث تبدأ من نهر النيل مصدر الحياة ، ومصدر المياه للمدابغ والذى يطل عليه ميدان فم الخليج بتاريخه المعروف ، ثم قنطرة المياه وسور مجري العيون ، والمحور الآخر يبدأ من جنوب القاهرة حيث الفسطاط وجامع عمرو بن العاص مروراً ببداية سور مجري العيون والقنطرة ومن ثم ميدان السيدة نفيسة وصولا لشمال القاهرة حيث باب النصر والفتوح ، وبين كل هذه المحددات العمرانية يقع مثلث المدابغ.

وداخل مثلث المدابغ بدأت تطوير رؤيتي لايجاد المشروع والى اكمال عملية الصناعة حتى نصل للمنتج الجلدى بكل أنواعه وما تمناه أهل المنطقة والعاملين فيها من عناصر تطوير المدابغ ونقلها من مستوي الدباغة فقط إلى التصنيع والانتاج ، وهو ما تعرقت عليه عن قرب من حواراتي ولقائاتي معهم ، حيث يضم برنامج تطوير المنطقة مبنى للبحث العلمى يبحث ويدرس فى تقنيات الدباغة الحديثة وينقلها للعاملين ويدربهم عليها من خلال مدرسة حرفية لتعليم الدباغة وتصميم الجلود وبحيث توفي تلك المدرسة أحتياج أبناء العاملين للانضمام لها بعد أتمام مراحل التعليم الأساسية فى مدارس الدولة المظامية ، هذا بالجانب إلى ورش حرفية للعاملين يستطيعون خلالها العمل وتطوير منتجات الجلود بعد دباغتها ، بجانب توفير إمكانية عرضها وبيعها للجمهور ، وكذلك عنصر وساحة للتسويق والتي تعرض فيها المنتجات طوال العام وتتحول لسوق رئيسى فى المواسم والأعياد الهامة خاصة عيد الاضحى ، بالإضافة الى متحف يحمل ذاكرة الآثار الممثلة فى سور مجرى العيون وذاكرة المياه والتى يحملها السور وينقلها ، وبالإضافة إلى ذلك ذاكرة الدباغة كحرفة حيث تواجدت منذ الفاطميين فى هذا المكان.

هكذا دلنى مجتمع المدابغ علي احتياجاته الأساسية للتطوير ، وأمكني تلخيص مشكلاته فى العدالة ، حيث يعانيٍ هذا المجتمع كغيره من المجتمعات القاهرية المماثلة نوعاً من الظلم المجتمعي فى وجوده ، وفى توفير احتياجاته كي يظل موجود بالرغم من إنتاجه العظيم والكبير فى مصر ، وكان عنصر المشاركة المجتمعية خلال مراحل بحثى هو المؤثر الرئيسى على تحديد المشكلات وقراءة الحلول ، فلم أكن أعلم عن بداية دخولي الى المنطقة ماذا سيكون مشروعي أو عناصره ، عنصري الوحيد كان مبني المدبغة ، ومن خلال مناقشة وسماع أهل المنطقة كانوا دليلي لقراءة بعض الحلول الممكنة لهذا المكان المنتج ، وكانوا يتكلمون عن الحلول بشكل تفصيلي مما يدخلها فى حيذ التنفيذ وكيفية التمويل .

أكتشفت أنني خلال رحلة الدراسة والبحث تعاملت بكل مهاراتي الإنسانية والتي اكتسبتها منذ الطفولة حتي تخرجي ، وأن تفاعلنا مع الناس والمجتمعات هو جزء لا يتجزء منا وهو سبيلنا لإيجاد طريق ، ولكنني أفتقدت بشدة ان يدخل كل ما اتحدث عنه إلى حيز التنفيذ الحقيقي ، وكم أتمنى ان تعطيني الحياة الفرصة كي أكمل ما بدأته منذ خمس سنوات فى تلك المنطقة ، والذي توقف مع دخولي عالم الممارسة العملية للمهنة ، والذي نجد جميعا صعوبة فى تحقيقه والعمل عليه بسبب السياسيات العمرانية للحكومة المصرية وغياب مفهوم التطوير والمشاركة وتحقيق العدالة فى المجتمع العمراني لكل فئاته ، وأنه الحل الوحيد الذي تلجأ له الحكومة هو نقل وعزل الناس عن أماكنهم الحقيقية ومواطنهم حتى لو كانوا أصحاب الحق والشرعية التاريخية والعمرانية والمجتمعية فيها .

ولكن تعطيني كل تلك الكنوز الخفية فى رحلتي التي بدأتها ولم تنتهي بعد الأمل والحياة فى أن أواصل الرحلة .. أبحث وأتعرف على مناطق يعطيك سكانها الإرادة فى ايجاد مجتمع أفضل وحياة أفضل ، فأن إنسايتنا تستحق هذه الرحلة بل وتستحق الحرب ...

فهي رحلة لم تكتمل - ولكنها لم تنهي بعد ..

ومشروع للعمران يعبر عن حق المجتمع في العدالة ومشاركته في صياغته ..

وللمزيد عن مشروع الكنوز الخفية

http://www.walycenter.org/ar/practice/-/174-hidden-treasures

مجتمعات وتحديات ... وتجربة عملية

كتابة و تصوير : محمد علاء

تعيش المدينة دائما فى حالة جدلية مع الطبيعة يسودها الحوار و الموائمة و الإنسجام أحيانا, ويغلب عليها الصراع أحيانا أخرى تكاد فيها الطبيعة أن تنجح فى سرقة بريق المدينة , ونتيجة معاناة أبناء المدينة المضنية أجل البقاء تترسخ فى ذاكراتهم أحداث و ألام لا تمحى بمرور الزمان ، فغالبا تأتى لتزعزع مفهومنا بالأمان الدائم وتهز معتقداتنا من فهم كيفية سيرورة الطبيعة.

ويبقى الحدث فى ذاكرتنا مثلما عرفناه فى القاهرة مع زلزال ٩٢ و يكاد يكون قد تكرر بأشكال مغايرة فى مدن و مجتمعات أخرى .

حيث تلك اللحظات هى التى تشعرنا بمدى تداخل خيوط مشاعرنا و تجاربنا مع خيوط شوارعنا و مبانيها ، لتشكل نسيج متكامل من الذاكرة و يمنح لكل منا خيوطه الخاصه. فهو إرتباط بالمدينة نفسيا و حياتيا ,

كما الإحساس عند فقد احد مبانيها الذى كان يحمل ذكريات معاصرينه , و فقدان التواصل مع لاحقيه و إنقطاع رسالة فكرة المكان .

وبدون رسائل التواصل تلك, تتشابه الأماكن و يفقد المجتمع الجذور .

التاريخ كان دائما شاهد على العديد من تلك الأحداث التى قد تتغير مع تغير الزمان و المكان و لكن يبقى تأثير فعل الطبيعة الثائرة متجذر فى الإنسان و مدينته.

تجربة صراع مدينة لاكويلا, إيطاليا .

تحتل لاكويلا مساحة ليست بصغيرة فى كتب المؤرخين منذ بداية تأسيسها فى القرن الثالث عشر . يخترقها المحور التجارى نابولي - فلورنس, لتكتسب ثقل إستراتيجى مع مرور الوقت, فهي نقطة الوصل بين مدن هامة كونها فى وسط إيطالية تبعد عن روما ١٠٠ كم فقط. مدينة تنعم بهدوء نسبى سوى الغزو المؤقت القادم من روما هربا صخب المدينة وحرارة الصيف. تحوى لاكويلا مرتفعات طبيعية تفوق السكان فى أعدادها. وتكسو هذه تلك المرتفعات المسطحات الخضراء و تلامس قممها فى بعض الأحيان أطراف السحب القريبة.

و يختلط هنا الواقع الفعلي و المعتقد الأسطورى , فتذوب الحقيقة فى الخيال و يبقى الإدراك الباطن لسكانها فيقولون أن للمدينة الأم ٩٩ قرية صغيرة , كأطراف مترامية على إمتداد المكان ولكنها ترتبط بشرايينها. وبعضها يعلو ليحتل قمم المرتفعات المحيطة بالمدينة الأم وكأنها تقف لها إحتراما, لكن تظل المدينة ساكنة فى قلب الوادى فى إعتقاد بحماية الطبيعة لها.

و على النقيض كان موقعها يشكل إحدى أسباب تأثرها الأكبر لسلسلة من الزلازل تخللت تاريخها منذ نشأتها .لكن أكثرهم فتكا كان اخرهم في ٦ إبريل من عام ٢٠٠٩ لهزة أرضية عنيفة ٦,٣ بمقياس ريختر ألحقت بالمدينة دمار مروع . وسلمت بعض القرى المجاورة لعلو موقعها ..

الخسائر كارثية بجميع المقاييس, ١١٠٠٠ مسكن و بناية إما تصدعت أو فنيت من الوجود .

اما الخسائر البشرية فقد أودى بحياة ٣٠٨ شخص وترك ٦٥٠٠٠ بلا مأوى.

وفقدت المدينة مع هذه الهزات جزء من موروثها المعمارى , كما تأثرت العديد من المبانى التراثية مثل بازيليكا سانتا مارية دي كوليماجيو التى تحطم الجزء الأوسط منها بالكامل تكاتف الجميع لتقديم العون و خصصت ميزانيات ضخمة للمساعدة .

وظهرت حتمية تقديم بدائل مؤقته للمتضررين, وجاء الموقف الرسمي للدولة فتبدلت حياة المخيمات فى العراء مع معاناة قسوة المناخ بمنازل وتجمعات سكنية جديدة بنيت بمعايير صارمة تتصدى للكوارث مستقبلا.

و لكن تلك المساكن والتجمعات الجديدة تفتقد الهوية المحلية فى لاكويلا,

فالمساكن معظمها مكررة تصطف واحدة تلو الأخرى فى تسلسل متوقع ,غير معهود على العمران المحلى للمنطقة, بدون مفاجئات بدون ساحات ,فهى أقرب ما تكون للضواحي السكنية الأمريكية .

ولم تقتصر خطة الإنقاذ على المجتمع فقط و لكن كان حتمي أن تتطرق يد الإنقاذ إلى المخزون المعماري التراثي أيضا. فبدأ على التوازى ترميم الإجزاء المتهالكة و محاولة لإحتواء أي إنهيارات مستقبلية .

يبقى التحدى الأكبر ليس بإعادة بناء المدن فحسب و لكن يأتى فى إعادة تأهيل المتضررين نفسيا فى قبول المسكن الجديد و إعادة مد شبكة التفاعل المجتمعى .

إعادة التأقلم بدا وكانه أمر حتمى لهولاء ,

قبول الوضع رغم عدم تفضيله وتخطى مرحلة الصدمتين ,الأولى للحادث نفسه و الثانيه للتغيير .

مجهودات سريعة للحفاظ على الموروث العمراني للمدينة

احدى قرى **لاكويلا** في احضان الطبيعة الجبلية للمكان

احد التجمعات السكنية الجديدة للمتضررين الزلزال

يبقى التحدى الأكبر ليس بإعادة بناء المدن فحسب و لكن يأتى فى إعادة تأهيل المتضررين نفسيا فى قبول المسكن الجديد و إعادة مد شبكة التفاعل المجتمعى .

إعادة التأقلم بدا وكانه أمر حتمى لهولاء ,

قبول الوضع رغم عدم تفضيله وتخطى مرحلة الصدمتين ,الأولى للحادث نفسه و الثانيه للتغيير .

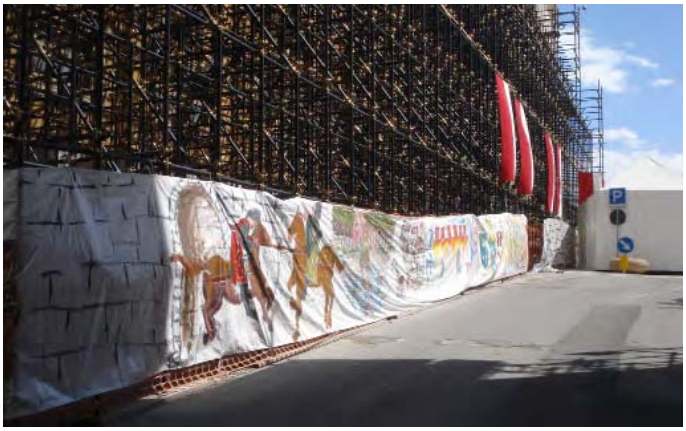

ملصقات في كل انحاء البلدة تعبيرا عن افتقاد السكان لبلدتهم

وعلى التوازي , جاءت مشاركات مجتمعية لمساندة اهالي لا كويلا ، الذين عبروا بكل ما يملكون من قوة عن رغبتهم في استعادة مدينتهم واحلامهم مرة اخرى .
احدها كان في «بانيو», وهي واحدة من تلك التجمعات الجديدة التى بنيت قبال الأحداث ,لتستقبل جزء من النازحين من المدينة المتهالكة في إطار مجاورات سكنية . فقد جاءت مبادرة غير رسمية من قبل مجموعة عمل من أساتذة العمارة من جامعات فى ألمانيا وبالتعاون مع كلية الهندسة فى جامعة لاكويلا فى إقامة ورشة عمل في محاولة لإبتكار حلول لإعادة التأقلم للمجتمعات المتضررة. حيث سنحت الفرصة لى فى إطار ورشة العمل تلك المكون
ة من مشاركين من ١٠ بلاد مختلفة فى العمل عن كثب فى بانيو, محاولة للتغلغل فى عمق ذلك المجتمع الجديد, لدراسة مكوناته العمرانية وتركيبتة السكانية.

جاءت المبادرة كمحاولة للتعامل مع الوضع الراهن للمجاورة معماريا بحلول منخفضة التكاليف و لكن تحمل تأثير قوى., عن طريق أفكار بسيطة قابلة للتنفيذ فى مساحة زمنية قصيرة وبإستخدام تكنولوجيا متواضعه و متوافقة مع الخامات التى فى محيطنا. تعددت الأفكار و لكن بقى الإتجاه مشترك , فجاءت الرغبة من بين جميع المشاركين فى توظيف تلك الأفكار لتختص بأطفال ذلك المكان .
محاولة لخلق ربط بين طفولتهم و إسلوب حياة الأجيال السابقة, خوفا من أن تفقد أبديا تلك الحلقة. لتحقيق ذلك كان لابد من إشراك المجتمع و خلق وسيط لطرح أفكارنا وبالمقابل الإستفادة من التعليقات .

واحدة من تلك الأفكار كانت «المكتبة الصغيرة» نبعت الفكرة من منطلق خلق نقطة تواصل بين الأطفال بعضهم البعض , فهو نموذج منشأ خشبى خفيف قد يتكرر حسب الحاجة ,بنى عن طريق إعادة توظيف أخشاب متراكمة من حطام المبانى المتهدمة, توضع تلك المكتبة فى المساحات المفتوحة الخضراء ليخلق نواة لتجمعات ثقافية لتداعب فكر الأطفال. جاء إقتراح أخر فى إستغلال إطار حديدى قديم غير مستغل فى بناء مظلة على ربوة عالية ذات إطلالة على الجبال المحيطة .

الأعمال فى مجملها من ثمار جهد وأفكار المشاركين و فى إطار من توجيهات السكان أنفسهم . محاوله لإضافة بعد أخر يقاوم سطحية تلك المجتمعات العمرانية الجديدة المفروضه عليهم, وإعطائهم فرصة الإختيار التى فقدوها من قبل, إنخراط المجتمع فى العملية التصميمية وإبداء الرأى حقق نتيجة أرضت الجميع و ذلك من خلال إجتماعات مع مجلس السكان المكون من جميع الفئات العمرية بداية من الأطفال المعنيون. ولقد لقيت الأفكار الدعم الكامل والمشاركة المجتمعية الإيجابية من مجموع السكان كل على قدر إستطاعته.

تلك هى تجربة عملية بسيطة لما قد يحدث إذا تكاتفت الجهات المعنية, قد لا يكون حل سحرى ينفرج به الوضع للأبد , لكنه يعد كنواة او نقطة بداية لمزيد من التفاعلات بين المجتمع والعمران .

ربما تكون فكرة صائبة من قبل الحكومة الإيطالية فى إبعاد السكان لمنازل بعيدة عن مركز الدمار مؤقتا, وقد يكون الموقف كان في حاجة الى تصرف عاجل مما ادى الى تجاهل الكثير من الجوانب الانسانية لمعنى المدينة ، وهو امر تعامل معه سكان المدينة بإيجابية وتصميم على عدم التخلي عن مدينتهم . ليظل الحنين دائما يربط بين ذاكرة الناس ومدينتهم, ففي شوارعها حاليا المليئة بغابة من السواند والعوارض الحديدية , وكانه موقع تحت الإنشاء, تجد جداريات على الأسوار الشبكية يتجسد عليها ذلك الحنين فى رسومات وعبارات من إبداع السكان وصور لشوارعهم القديمة , تلقائية التعبير عن مشاعرهم المكنونة داخلهم, أمانى بالعودة , إصرار على المضى قدما وإعادة النهوض ، شاركت في الحلم مجهودات مجتمعية لاتزال تتمسك بالحلم بالتنزه فى شوارع المدينة الضيقه التى تؤدى دوما لساحات مفاجئة حيث التواصل والإلتقاء من جديد بين المدينة والطبيعة مع الإنسان.

قراءة فى كتاب النظرية العمرانية فى العبر الخلدونية

شيماء شاهين

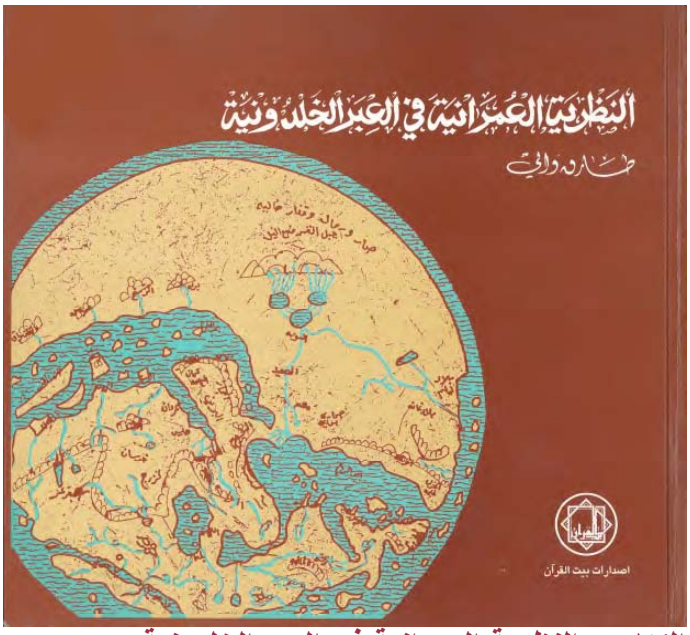

الكتاب : النظرية العمرانية في العبر الخلدونية

المؤلف : طارق والي

تاريخ النشر : ١٩٩٥

إن واقعنا اليوم يشهد الكثير من التحولات الانسانية على كافة المستويات المحلية والقومية والعالمية مما يجعلها جديرة بأن تجعل من تلك الايام نقطة تحول في تاريخ الانسانية ..

مرحلة زاخرة بالتغيرات التي تتنوع بين مجتمعات تسعى لتنهض من سبات طويل ودول تصارع من أجل الحفاظ على وجودها وأخرى تشق طريقها في صمت نحو إعتلاء قمة الحضارة الانسانية ..

الأمر الذي يفرض علينا ابناء هذا الجيل ، الكثير من الاشكاليات الفكرية والحضارية مما يجعل شحذ طاقات الماضي والحاضر لتخطي تلك الاشكاليات امرا حتميا..

وإنطلاقا من إيماني أن الخطوة الاولى على طريق نهضة مجتمعاتنا العربية هو النهوض بالفكر العربي ، ومن قناعتي بدور التواصل بين الماضي والحاضر في تحديد ملامح المستقبل جائت قراءتي لكتاب « النظرية العمرانية في العبر الخلدونية » ، كخطوة على طريق مواجهة إشكالية الأصالة والمعاصرة أو القديم والجديد ومحاولة لإبداء الإمتنان و للتواصل مع أجيال سبقتنا في تكريس طاقاتها الفكرية من اجل تحقيق الحلم العربي في إستعادة مكانتنا وإستكمال دورنا الحضاري في مسيرة الانسانية .

لماذا ابن خلدون ؟؟

التساؤل الذي يطرحه المؤلف ضمن اشكالية فهم الموروث مع التواصل بالحاضر .

تأتي الحاجة لإستقراء فكر ابن خلدون، بل انه يمكن القول إن تلك هي الفرصة المثالية للإستفادة من هذا الفكر الذي طالما **وأعتبر من الناحية العلمية مفرق طرق بين مرحلتين وليس ذلك في الفكر التاريخي الاسلامي فحسب بل في الفكر التاريخي الانساني كله .**

أولا : لأن المرحلة التاريخية التي عاصرها ابن خلدون « القرن الثامن الهجري _ الرابع عشر الميلادي **كانت مرحلة تغييرات تاريخية هائلة في أنحاء العالم ، إنه عصر التحول على المستويات السياسية والاجتماعية والفكرية . تحول نحو النهوض والانبعاث في العالم الغربي ، وتحول نحو التفكك والإنحطاط في العالم العربي.**

وعند نقطة التحول تلك جاء ابن خلدون ليس واصفا لممالك تتقاتل وليس مجرد شاهد على سقوط دول وقيام غيرها ولكنه جاء باحثا عن أسباب تعاقب الأزمات وتوالي الإنقلابات ومحاولا فهم عوامل نهوض وإنهيار الأمم والحضارات ووضع الإطار المعرفي لتلك التحولات الحضارية .

و ثانيا : لما يتميز به منهج ابن خلدون الفكري الذي **إطلع خلال مراحل دراسته على مختلف جوانب الفكر الاسلامي مما أكسبه تفكيرا منطقيا صارما يجمع بين قوة الاستدلال والقدرة على جمع شتات الواقع الاجتماعي في استقراء علمي سليم .**

وإستطاع من خلاله أن يتجاوز الفكر التأريخي التقليدي القاصر على رصد الوقائع السياسية والأحداث **وتوج فكره بعلم العمران الذي إستنبطه من إستقرائه وفهمه الشامل للمشروع الحضاري للأمة الإسلامية وتناوله بإدراكه السليم وعقله المتفتح لتاريخ المجتمعات البشرية وأسباب تحضرها .**

وأراد ابن خلدون من خلال ذلك أن يصل الى معرفة ما يمكن تسميته «بالقوانين الحضارية » فحاول هنا أن يفهم نشأة الأمم ويفسر أسباب تطورها وتقدمها ويرصد تطور عمرانها مدققا ومحللا لينتهي الى نظرية شاملة للعمران ، وحكم جامع لم يسبقه له أحد فكان بذلك رائدا وسباقا .

ملامح النظرية العمرانية الخلدونية

كما رصدها المؤلف ..

وهي تحمل رؤية ذاتية تعبر عن تحليل المؤلف وإستقراءه لفكر ابن خلدون ، ووضعه في إطار تنظيري جديد أو مختلف يرتبط بالعمران كما أراده ابن خلدون وفهمه المؤلف.

وابن خلدون يدعوننا الى النظر الى العمران في شموليته لنستقرأ فيه القانون أو القوانين الأبدية في تمييز الحق من الباطل .

لقد حاول ابن خلدون إستنباط تلك القوانين أو العوارض الذاتية وصياغة النظرية حول إشكالية العمران والدولة وتطورهما ودورتهما التاريخية في الماضي التاريخي والحاضر الواقع والمستقبل المنتظر وفي ذلك إيجاد للتوازن المطلوب بين الزمان والمكان للمجتمع الانساني عامة والمجتمع العربي الإسلامي خاصة ..

و العمران عند ابن خلدون له ثلاثة أبعاد رئيسية هي :

الانسان : هو محور الوجود وقيام العلاقات الحياتية وإطاره المجتمع .

المكان : هو محور العمل وضمان بقاء الوجود والحياة وإطاره الدولة .

الزمان : هو محور التغيير .. والإستمرارية في الحياة أو الفناء وإطاره العلاقة التبادلية بين المجتمع والدولة

ومن خلال قراءة تحليلية للتجربة الحضارية حدد ابن خلدون ثلاثة عوامل فاعلة في عمران المجتمعات عموما والمجتمع العربي بصفة خاصة وهي :

•العامل الأيديولوجي : وركيزته الأساسية في المجتمع العربي هي الدين الذي يلعب دورا محوريا في عمران المجتمعات الاسلامية إلا أن فاعلية هذا الدور مشروطة لدى ابن خلدون بعوامل اخرى على رأسها :

•العامل الاجتماعي : ويتمثل في « **العصبية**» **فهي آلية المجتمع في تأسيس الدولة ونشوئها وسقوطها ، فبقدر قوة العصبية تقوم الدولة وتتطور وبقدر إنحلال العصبية في الأجيال التالية المترفة تسقط أو تنحل .**

•العامل الإقتصادي : فالحاجات الإنسانية تحتل مكانة بارزة في تفسير نشأة العمران وتطوره فهي التي تدفع الأفراد الى تأسيس الجماعات التي تضمن لهم توفير تلك الحاجات .

وتتفاعل تلك العوامل فيما بينها حسب قوة كل منهما وهيمنته على غيره من العوامل لترسم شكل العمران الإنساني وتحدد طبائعه بل وتقرر فترات تألقه وتحدد توقيت انهياره ..

ويتمثل العمران دائما عند ابن خلدون في محوران متوازيان لاغنى لاحدهما عن الآخر بل لا وجود لأيهما دون الآخر هما : **الدولة و المدينة .**

• **الدولة :**

"الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة ، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها ، وقد تقرر في علوم الحكمة انه لا يمكن إنفكاك أحدهما عن الآخر ، فالدولة دون العمران لا تتصور ، والعمران دون الدولة والملك متعذر ، لما في طباع البشر من العدوان الداعي الى الوازع «

يرى ابن خلدون **أن كلية العمران تتجسد في الدولة وعلاقتها بالمجتمع ، فكما أن كل شيء في الوجود حسب المنطق القديم مادة وصورة فكذلك العمران : «مادته الإجتماع وصورته الدولة «.وحجر الزاوية في هذه الإشكالية عند ابن خلدون هو ذلك التوازن الخفي بين الدولة والمجتمع أو بين الراعي والرعية ، هذا التوازن الذي يضمن الإستمرارية الحضارية المتطورة للمجتمع والدولة والعمران . هذا التوازن الذي حمله المشروع الحضاري للأمة الإسلامية منذ إنطلاقتها الأولى على يد سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وحملها المسلمون الأوائل فاتحين الامصار مجاهدين ومجتهدين في تنظيم أمورهم ومؤسساتهم الدنيوية ولا سيما المدينية .**

• **المدينة :**

وتقوم المدينة عند ابن خلدون باعتبارها « غاية العمران « التي هي نفسها « غاية الملك « ومتى وصل العمران إلى غايته كان ذلك إيذانا بفساده وخرابه . وإذا كانت نشأة المدن هي حالة من حالات تطور العمران البدوي إلا أن هذا التطور يرتبط بصورة أساسية لدى ابن خلدون بالدولة ..أي بالمؤسسة الحاكمة أو كما يسميه ابن خلدون» **كرسي الملك**» فوجوده هو العامل الأكثر فعالية في تطور أي مدينة « **إن الدول أقدم من المدن والأمصار ، وإنما توجد ثانية عن الملك** « **فهو يربط بين قيام الدولة وتطورها وما يطرأ على الخريطة العمرانية من إزدهار لحركة التمدين والنمو ، كما يربط ابن خلدون في المقابل بين إضطراب أحوال الدولة في أواخر أيامها وما تتعرض له المدن من تدهور وخراب وذلك لما يحدث في مثل هذه الفترات من أحداث ترتبط بطبيعة هذه المرحلة من حياة الدول .**

إن التجربة الواقعية التي عاصرها ابن خلدون لزمن فقدت فيه الأمة الإسلامية للتوازن بين قوى الدولة والمجتمع وإنحلت فيه أواصر العصبية التي طالما ربطت بين عناصر تلك الأمة ونتج عن ذلك كله الإنهيار الأكيد لتلك الحضارة العريقة بالإضافة الى قدرته على تحليل الامور ورؤيتها بطرق فلسفية تبحث ما وراء الظواهر لتستنتج القواعد العامة التي تحكم سريان الامور هي التي أصّلت لأن تكون لدى ابن خلدون نظرياته الخاصة المتعلقة بالعمران والحضارة الإنسانية وأن تكون تلك النظريات أقرب ما تكون للواقع

وخاصة أن مرحلة التحول التي عاشها فرضت عليه الكثير من التساؤلات التي جعلها محورا لفكره وعاش باحثا ومحاولا أن يوضح ويفهم :

لماذا انتقل الملك من العرب؟

وما هي الاشكال الجديدة للسلطة ؟

وما هي الدورة الحضارية الحاضرة ؟

ولماذا توشك ان تنتهي ؟

- **الدورة الحضارية**

« إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ،

وإنما هو إختلاف على الأيام والأزمنة ،

وإنتقال من حال إلى حال ،

وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول «

إن مرحلة التحول في تاريخ الإنسانية التي عاشها ابن خلدون أملت عليه احد أهم أهداف دراسة العمران الانساني ألا وهو فهم الكيفية التي تسير بها تلك التغيرات والتحولات والعوامل المؤثرة فيها ..

فوصل من دراسة نشأة الدول وإنهيارها الى ما نعرفه بإسم **« الدورة الحضارية «** .

وجاءت رؤيته للدورة الحضارية متلخصة في أن عمران العالم يسير في دورات تاريخية .

هذه الدورات تختلف إحداها عن الأخرى بطريقة غير واضحة بعض الشيء عن طريق التبدل في الأعصار ومرور الأيام التي تتغير خلالها الأحوال في الشعوب والدول القبائل.

ويقيم ابن خلدون ثلاثة أسس على أساسها يتحرك التاريخ :

- الأساس الأول يرى أن سقوط دولة من الدول ليس كافيا لختم فترة تاريخية أو دورة تاريخية والبدء بدورة تاريخية أخرى .

- لا بد من إضافة العامل الأساسي الثاني : لابد أن تحدث عصبية في أمة لم تكن مهيأة للسلطة من قبل ، والعصبية تكون بإتحاد رأي هذه الأمة وإجتماع شملها وإستلامها السلطة وعند هذا فقط تبدأ دورة تاريخية جديدة .

- وعندما تتحد الأمة في ظل العصبية الجديدة وتقوم الدولة الواحدة يكون ذلك مصحوبا عادة إما بحدوث ملة جديدة أو بإنتهاء حضارة أو إعتمار ماض ، وبهذا يتحقق الاساس الثالث لنشجة دورة تاريخية جديدة على هذه الأسس الثلاثة .

العبر الخلدونية بين الماضي والمستقبل

حيث يرتبط الموروث الحضاري بالرؤى المستقبلية لاستنباط الانسان

والتي يبرزها الكتاب حسب المنهجية التحليلية التي اتبعها المؤلف

وهي بالتعبير الخلدوني « العبر « أي التجارب المستفادة نحو الانطلاق للمستقبل

إن مثل تلك الرؤية المتكاملة للسياق الحضاري للعمران لا يمكن نسبها الى تجربة ابن خلدون الشخصية فحسب بل إن العامل الأكبر تأثيرا في تلك الرؤية هي منهجه الفكري و نظرته للتاريخ وإيمانه بدور استقراء ذلك التاريخ في رسم معالم الحاضر والمستقبل .

فالتاريخ عند ابن خلدون هو معرفة الماضي لا الماضي نفسه كأحداث ، بل إن أحداث الماضي عنده معينة على فهم الحاضر ومشاكله .. لقد إكتشف ابن خلدون ذلك الحوار الجدلي القائم أبدا بين الماضي والحاضر:

«إن مشاكل الحاضر تدفعنا إلى الرجوع إلى الماضي ، إلى التاريخ ، ولكن هذا الأخير يردنا بدوره إلى الحاضر ، فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء – فكما يتوقف فهم الحاضر على الرجوع الى الماضي ، يتوقف فهم الماضي على فهم الحاضر .»

ولأن نقطة الانطلاق في كتاب النظرية العمرانية في العبر الخلدونية هي **إعتبار الثقافة وحدة كلية متكاملة وعملية مستمرة تتعدى في وجودها اللحظات الزمنية الانية وتتصل حلقاتها بعضها ببعض على مر العصور وطول المكان ، وهذا معناه أن تلك الثقافة التي يحملها ضمير المجتمع ويعبر عنها تراثه تنمو وتتطور وتكتسب قدرات جديدة بإستمرار . وأنه يتحتم إخضاع الموروثات الفكرية على إختلافها للظروف المعاصرة لها ضمن محدودية الزمان والمكان للعالم أو المفكر أو الكاتب .**

ثم إخضاع تلك النظريات إذا لزم الأمر أو بعض القضايا والأحكام فيها للفحص والإختبار في ضوء المعطيات والأوضاع الراهنة التي تسود الأن .

ولهذا ربما يقدم لنا هذا الكتاب النظرية العمرانية المتكاملة لابن خلدون التي تضع بين أيدينا الاسباب والأطر العامة لنشوء العمران موضحا لنا بتلك النظرية اهمية التوازن بين الدولة والمجتمع وأثر الخلل في هذا التوازن على العمران والدولة والمجتمع .

أو لنكتشف من خلال هذه النظرية مثلا أحد أخطر الامراض التي أصابت مجتمعاتنا وعمراننا وهو إنحلال عقدة العصبية وتفكك وحدة الأمة.

وفي قراءتي أجد أن الامر أبعد من ذلك فالكتاب يقدم أكثر من مجرد تحليل للنظرية العمرانية ،

إنه يقدم إستقراء للتجربة الانسانية لابن خلدون ويقدم لنا كاتبه تلك التجربة متخذا في ذلك م**نهجا يتسم بالوسطية او التعادلية والتوازن المحسوب بين الزمان والمكان ..**

فلا يقدس الماضي على حساب الحاضر والمستقبل ولا يسقط حضارة المجتمع لحساب الحاضر والمستقبل .

منهجا يدرس القديم لفهمه واستخلاص ثوابته لنشكل بها مصادر معرفتنا ونبني عليها افكارنا وسلوكياتنا العقلية لحل مشاكلنا الانية .

مؤكدا على أن ذلك المنهج إذا كان هو ذاته سر من اسرار عبقرية ابن خلدون محور هذا الكتاب فإنه ايضا مفتاح حل إشكالياتنا الفكرية المعاصرة التي طالما تاهت بين الماضي والحاضر وتمزقت مابين القديم والجديد .

والنظرة المتأملة لهذا المنهج تكشف من الوهلة الأولى العلاقة الوثيقة بين المنهج الفكري والهدف المنشود من هذا الفكر .

لقد عكف ابن خلدون على جمع شتات ماضيه وحاضره وقراءة تاريخ أمته وتحليل احداث واقعه بهدف الخروج من الأزمة النفسية والفكرية التي عاصرها في مرحلة إنهيار الحضارة الاسلامية التي كان هو جزءا منها ووضع نصب عينيه تأطير أسباب نشوء وإنهيار الحضارات مؤمنا بدور الأساس العلمي في رسم مشروع حضاري نهضوي عربي يعيد المجد المنهار ويستعيد الحضارة الفائتة ..

الطريق ذاته الذي سلكه المؤلف طارق والي عندما قدم لنا هذا الكتاب ليمثل إعادة قراءة لجزء من تاريخنا بصورة تجعل منه بوابة تفتح امامنا آفاقا جديدة للمستقبل وتضع أيدينا على مواطن الضعف والقوة في عمراننا وحضارتنا ، ويبدأ لنا دربا أوله هو هذا الجهد في قراءة التاريخ بمعطيات الحاضر وأدواته وآخره لن نتمكن من إكتشافه إلا إذا تمكننا من سلك نفس الدرب مستعينين في ذلك بنصيحة ابن خلدون حول كيفية مواجهة العثرات الحضارية عندما قال :

« فليرجع الانسان الى أصوله ، وليكن مهيمنا على نفسه ، ومميزا بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ، ومستقيم نظرته . فما دخل في نطاق الامكان قبله ، وما خرج عنه رفضه . »

إن معاصرة ابن خلدون وآنية الفكر الخلدوني لا تأتي من تكراره بغباء وبلا تبصر ولكنها تعني الوصول كما يقول هو نفسه الى تفسير كيف ولماذا تكون الاشياء كما هي في العالم الذي نحيا فيه ضمن محدودية الزمان والمكان .

وتأتي قراءتي لكتاب :

« النظرية العمرانية في العبر الخلدونية »

وهو كتاب يعيد قراءة ابن خلدون
بشكل ورؤية معاصرة بالمفهوم الزمني
ومتأصلة بالمفهوم الحضاري ،
لتمثل جزءا من رؤيتي للكتاب وللفكر وللمنهج ..
وخطوة على الطريق التواصل والتكامل بين الماضي والحاضر
من اجل رسم ملامح المستقبل ..
ويبقى لكل لقارئ ان يكتشف رؤيته الخاصة ...

للمزيد عن « النظرية العمرانية في العبر الخلدونية »

http://www.walycenter.org/en/research/publications/books/112-al-nazarayah-al-umraneya-fe-al-ebar-al-kholdoonia